مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية - Journal of Humanitarian and Applied Sciences
(رقم الإيداع المحلي - 90-2020)
كلية الآداب والعلوم قصر خيار - جامعة المرقب
Volume 9 - Issue 18
المجلد 9 - العدد 18

"بلاغة الصمت والتواطؤ: قراءة نقدية في خطاب النخب المتخاذلة"
من قصيدة لعلي الجمل نموذجًا

د. خالد رمضان الجربوع
أستاذ مساعد، بلاغة ونقد
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية،كلية الآداب والعلوم –قصر خيار، جامعة المرقب
kraljarboa@elmergib.edu.ly

تاريخ استقبال البحث: 2025/12/01	تاريخ القبول: 2025/12/18

الملخص:

في زمن كثرت فيه الأصوات وقلت فيه المواقف، نجد الشعر يعيد ترتيب المعاني، ويكشف التناقضات التي اختفت خلف الأقنعة، ففي الأبيات التي بين أيدينا، نجد الشاعر يقدّم خطابًا نقديًا يحمل توبيخًا شديدًا دون مجاملة أو تلميح، تجاه النخب المحسوبة على المجتمع التي اختارت الصمت، وفضّلت السكوت على قول الحق، هذا النص ليس مجرد تعبير شعري، بل هو موقف أخلاقي، وفكري يبين التواطؤ مع الطغيان، ويُدين الخنوع ويُعيد الاعتبار للكلمة الصادقة.

إن النخبة –سواء كانت فكرية، أو سياسية، أو ثقافية–أخذت مكانتها من قدرتها على تمثيل ضمير أفراد المجتمع، والتعبير عما يعجز عنه العامة أو يخشونه، فإذا انسلخت من هذه الوظيفة، تكن مجرّد طبقةٍ لا قيمة لها، مزيّفة للواقع مناصرة للطغيان، تسعى وراء الامتيازات.

الكلمات المفتاحية: النخب _ الصمت _ التواطؤ _ السياسية.

"Rhetoric of Silence and Collusion: A Critical Examination of the Discourse of Defeatist Elites"
With a Poem by Ali Al-Jammal as an Exemplar

Dr. Khaled Ramadan Al-Jarbou
Assistant Professor, Rhetoric and Criticism
Department of Arabic Language and Islamic Studies, Faculty of Arts and Sciences - Gasr Khiyar
Elmergib University
kraljarboa@elmergib.edu.ly

Abstract

In a time when voices abound but true stances are scarce, poetry reorders meanings and unveils contradictions hidden behind masks. In the verses before us, the poet delivers a critical discourse marked by severe reproach—without flattery or subtle hints—directed at the elites of society who chose silence, preferring to remain mute rather than speak the truth. This text is not merely poetic expression; it is an ethical and intellectual position that exposes complicity with tyranny, condemns submission, and restores dignity to the honest word.

The elite—whether intellectual, political, or cultural—derive their status from their ability to embody the conscience of society and to articulate what the masses cannot or dare not say. When they abandon this role, they become nothing more than a hollow class, falsifying reality, siding with tyranny, and pursuing privileges.

المقدمة:

هذا النص ليس مجرد تعبير شعري، بل هو موقف أخلاقي وفكري، يُدين الخنوع، ويُعيد الاعتبار للكلمة الصادقة، هذه الأبيات تعبّر عن خطاب شعري يقاوم النفاق والضعف، ويضع النخبة المتعلمة المؤثرة في المجتمع أمام مسؤوليتها التاريخية لكي تدافع عن الحق، وتنحاز إلى قضية الوطن العادلة، وتحارب الفساد والظلم، فالقصيدة أظهرت ازدواجية صارخة في التغاضي عن الظلم، وتبرير القمع في الوقت الذي يجب عليهم أن يلتزموا بالقيم الإنسانية، والجرأة في المواقف والنطق بالحق، مما يكشف عن الخلل البنيوي في المنظومة الفكرية التي تندرج تحتها هذه النخب التي آثرت تلك المهادنة والصمت، والأخطر من الصمت هو الانخراط في خدمة الطغاة عبّر بالتزيين والتطبيل لهم، ومن هذا السياق يستند الشاعر على صورٍ قوية، فالكلمات المعسولة المفبركة تتحوّل إلى وسيلة احتيال، والسطور المنظمة إلى سوق رائجة تمنح المنافقين الربح الوفير، هذه المقدمة تدور حول انشغال القصيدة بسؤال سياسي وأخلاقي في وقت واحد، وهو ما الفائدة من النخبة إذا لم تكن صوت الحقيقة في وجه الباطل؟.

نرَى نُخَبًا مَعَ الأَحْدَاثِ مَا نَطَقُوا
خَلَوْا بِالصَمْتِ مَنْجَاةً وَقَدْ صَدَقُوا
لِأَجْلِ غَنَائِمٍ تُرْضِي ... مَطَامِعَهُمْ
أَطَاعَوْا إِمْرَةَ الطَاغُوتِ وَاعْتَنَقُوا
وَتلْكَ حُرُوفُهُمْ تَحْتَالُ تَطْبِيلاً
وَمِلْءُ سُطُورِهَا إِفْكٌ بِهِ ارْتَزَقُوا

علي صالح الجمل؛ أحد الأصوات المتميزة في الشعر على الساحة الليبية، فهو يجمع بين الوعي الثقافي العميق والحس الفني. وهذه أبرز الملامح لسيرته الذاتية:

الاسم:

علي صالح الجمل، الميلاد :مدينة طرابلس، ليبيا في 20 ديسمبر 1965 ومهنته الرسمية يعمل محاسبًا في إحدى الشركات إلى جانب نبوغه في الشعر والأدب.

مسيرته الشعرية:

بدأ يهتم بالشعر منذ نعومة أظفاره، وقد تأثر كثيرًا بمكتبة والده العامرة التي كانت تحتوي على دواوين شعراء، ومعاجم لغوية وكتب نقدية، مما جعل ذلك يساهم في صقل موهبته وإثراء ذائقته الشعرية والأدبية.

درس العروض، وتعمّق في بحوره الشعرية، وتعلق بالشعر العمودي، مما جعل نصوصه الشعرية تتميز بطابع موسيقي واضح وتوازن صوتي مناسب للغرض.

شارك في العديد من الأمسيات والمنتديات والعروض الشعرية داخل ليبيا وخارجها، ونُشرت أعماله في عدة مجلات إلكترونية وورقية.

حاز على عدة شهادات تقدير، وجوائز قيمة عن مشاركاته الأدبية، مما دل على تقدير الوسط الثقافي لإبداعه.

آراؤه الأدبية:

الموهبة وحدها في نظره لا تكفي، بل يجب أن تُدعّم بالاطلاع الواسع على المستجدات في الوسط الأدبي، والقراءة المكثفة، حتى لا يصاب الأدب بالجمود والتخلف، والتفاعل مع تجارب الشعراء في البيئات الأخرى، والتواصل معهم والاستفادة من خبراتهم.

يرى أن المعلم في المجال الأدبي يلعب دورًا مهمًا في توجيه المواهب، لكن هذا لا يغني عن بذل الجهد والسعي المستمر لبناء وصقل الموهبة الأدبية والشعرية.

سرقة النصوص الأدبية ظاهرة مقلقة مع انتشار وسائل التواصل، لكنه مستأنس ببعض القوانين التي بإمكانها ضبط المشهد الأدبي عبر قوانين الحماية الفكرية (زرزور، 2016).

هذه القصيدة من بحر الكامل التام، وهو من البحور الستة عشر التي وضعها الفراهيدي، وتفعيلته "متفاعلن متفاعلن متفاعلن"، وهي تفعيلة تامة ثلاثية اعتمدت على الإيقاع القوي والتكرار، وكثيرًا ما تُستخدم هذه التفعيلة في الشعر الحماسي أو الخطابي.

البنية الأسلوبية والبلاغية:

النص الشعري يتميز بتركيب لغوي محكم، يجعل من الأدوات البلاغية والأسلوب وسيلة لتوصيل موقف نقدي حاد تجاه النخب المتخاذلة، ويمكننا تحليل هذا من خلال العناصر التالية:

تحليل الأسلوب الخبري والإنشائي:

جاءت الأبيات بأسلوب خبري في ظاهرها، لكنها تحمل إنشاء في طياتها يتجلى في التوبيخ والاتهام؛ ومثال ذلك قول الشاعر: "خَلَوْا بِالصَمْتِ مَنْجَاةً" أسلوب خبري لكنه يحمل في طياته استنكارا ضمنيا لسلوكهم، وهذا التداخل بين الخبر والإنشاء "يكسب القول أهمية من السياق الذي يأتي فيه؛ لأن السياق ما هو إلا تمرة القصد ونتاجه" (بوشي و صالح، 2022، صفحة 22).

وهذا يعكس ذكاء شعريًا في تمرير الموقف بطريقة غير مباشرة تتمثل في الرمز والتلميح والتكيف، والعرب جعلت كلامها على مقدار الحاجة "من مزايا اللغة العربية: دقة التصرف في التعبير، واختلاف الأساليب باختلاف المقاصد والأغراض" (الهاشمي، صفحة 63).

دراسة الصورة البلاغية كناية استعارة جناس إلى غير ذلك:

الاستعارة:

1. "حروفهم تختال تطبيلا"، استعارة مكنية حيث أعطى الحروف صفات بشرية (الاختيال والتطبيل)، مما يضفي على الخطاب طابعًا عمليًا مرئيًا؛ حيث أبرزت نوعًا من الولاء السلبي للطغاة فيخضعون لأمرهم؛ كما ينسجم هذا الأسلوب مع مفهوم "التضليل البلاغي" (كندي، 2017) (كحولي، 2019)، في أدبيات نقد الخطاب؛ حيث يكون المعنى الحقيقي ملبس بعبارة براقة ليوهم السامع بما يخالف الحقيقة.

2. "إفك به ارتزقوا"، تصوير الكذب كسلعة تباع ويرتزق منها، وهي استعارة تكشف فسادًا أخلاقيًا عميقًا، فهذه العبارة تحمل دلالة مكثفة، فهي تصور الكذب على أنه ليس مجرد فعل؛ بل سلعة تسوق ويقتات منها، مما يجعل هذه الاستعارة تتميز بطابع اجتماعي يفضح القيم المنحرفة لدى هؤلاء الذين يديرون منظمة فساد مؤسسية.

الكناية:

1. "أطاعوا إمرة الطاغوت"، في هذه العبارة كناية عن الخضوع لسلطة الحكم الظالمة، دون الحاجة لذكر أسماء، أو أنظمة، مما يمنح النص عمومية رمزية، قال السكاكي: (الكنايات تتفاوت إلى تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء وإشارة فإذا كان فيها نوع خفاء فالمناسب أن تسمى رمزًا)، (القزويني، 1993، صفحة 175/5).

وقال الجاحظ: "وجميع أنواع الدلالات على المعاني لفظ وغير لفظ خمسة أشياء: لا تنقص، ولا تزيد أولها: اللفظ ثم الإشارة ثم العقد، ثم الخط، ثم الإشارة باليد، أو الرأس، أو العين، أو الحاجب." (الجاحظ، 2005، صفحة 1/ 75).

2. "الصمت منجاة "، القصيدة في العصر الحديث جنحت إلى بناء المعاني على وجه غير معتاد في العصور السابقة حيث جعلت للقصيدة "معنى خلاق توليدي لا معنى وصفي سردي"، (سعيد ع.، 1986، صفحة 9) ، وهنا نجد نوع من التكثيف؛ إذ إن الصمت في هذا البيت كناية عن التهرب من المسؤولية، وتبرير الخنوع بحجة السلامة الشخصية.

التضاد:

لغة: المتضادان الشيئان اللذان لا يجوز اجتماعهما في وقت واحد؛ كالليل والنهار، (فارس، 1969، صفحة 3 / 360) وفي لسان العرب الضد كل شيء ضاد شيئًا ليغلبه والسواد ضد البياض والموت ضد الحياة والليل ضد النهار إذا جاء هذا ذهب ذاك (منظور، 2003، صفحة 476/5).

ويعد التقابل الدلالي "ذو تسمية حديثة، وهو يشبه مصطلحات أخرى منها الطباق والمقابلة والضد والنقيض والعكس والخلاف والتباين" (محمد، 2007، صفحة 232).

التضاد في النص له دلالات عميقة، تتعدى مجرد الزينة اللفظية، أو اللغوية؛ بل يسهم في تكثيف المعنى المراد، فعندما يذكر المعنى ونقيضه يزيد في وضوح الفكرة المرادة وتترسخ في ذهن القارئ بشكل أوضح، فهو يخلق صراعًا داخليًا وخارجيًا بين الأفكار، مما يدفع القارئ للتأمل في العلاقة بين المتناقضين "إذا وقع الحرف على معنيين متضادين، فالأصل المعنى واحد، تداخل الاثنان على جهة الاتساع " (الأنباري، 2006، صفحة 17) مما يفتح المجال لتأويلات ثقافية وفكرية واسعة النطاق، فيحول النص من حالة إلى حالة أخرى، تعكس ديناميكية في البناء الفني.

وجاء التضاد في القصيدة بين "نطقوا، الصمت، صدقوا، الإفك"، خلق هذا التضاد توترًا دلاليًا يعكس الصراع بين الحق والباطل، ويُبرز التناقض في سلوك النخب.

ويعد هذا النوع من التضاد من الأنواع الموظفة في الأدب العربي بكثرة حيث "يجمع أكثر من تضاد وكل تضاد يقابل متضادًا آخر له ...." (محمد، 2007، صفحة 232).

الإيقاع الموسيقي (الوزن والقافية):

الوزن "من بحر الكامل"، وتفعيلته الأساسية تتكون من "متفاعلن" مكررة ثلاث مرات، مما ولد إيقاعًا متماسكًا ومتصاعدًا، جعل في النص طاقة صوتية قوية، ومنح النص رنة قوية تناسبت مع الموقف الحاد؛ لأن تفعيلته تحتوي على تتابع الحركات والسكنات مما خلق نوعًا من النبض الإيقاعي جعله مثاليًا للتعبير عن الانفعال الشعوري بالإشباع النفسي والانفعالي.

وهذا الوزن ملائمًا للحدة الشعورية، في حالة الحزن العميق والغضب والحماسة، فهو يوفر إيقاعًا لا يهدأ داخل النص، ويعتبر مناسبًا للقصائد التي تتوجه بخطاب مباشر إلى الآخر سواء كان عدوًا، أو صديقًا، أو جمهورًا لما فيه من نبرة خطابية قوية، وكأن الشاعر يعتلي منبرًا ويصرخ بما في داخله.

القافية الموحدة "نَطَقُوا، صَدَقُوا، اعْتَنَقُوا، ارْتَزَقُوا" تُضفي انسجامًا صوتيًا، وتُعزز الإيقاع الداخلي للنص، الذي يساهم في ترسيخ المعنى في ذهن السامع.

التكرار الصوتي:

تكرار حرف القاف في القوافي يخلق إيقاعًا صارمًا؛ لأنه حرف جهوري مخرجه أقصى الحلق، له اهتزاز قوي في نبرة الصوت، وحين يتكرر يمنح النص إيقاعًا متماسكًا، يشد السمع، ويُعزز من نبرة الاتهام والاحتقار، ويجعل النص مشحونًا بالجد والصرامة.

استخدام الأفعال بصيغة الماضي "نطقوا، صدقوا، اعتنقوا" يوحي بأن الخيانة قد وقعت بالفعل، مما يُضفي على النص طابعًا تاريخيًا وتوثيقيًا.

اللغة والتراكيب:

المفردات القوية:

قوة المفردات ليست لمجرد الزخرفة البلاغية، بل هي أداة فاعلة في بناء النصوص وتوجيه القراء، فهي تختزل الأفكار المركبة في لفظ واحد، فتثري النص، وتحفز السامع وتجبره على التفاعل بالقبول، أو الرفض مما يجنبه خمول العقل وسرحانه، فهي تحدث صدمة لغوية تعيد انتباه السامع، أو القارئ.

فالكلمات الواردة في النص مثل "الطاغوت"، "الإفك"، "ارتزقوا"، "التطبيل" ليست مجرد ألفاظ تحمل دلالات سلبية مباشرة، بل تحمل نبرة تهكمية تقلل من شأن الممدوح وتدين المادح، وتُعزز من موقف الشاعر الرافض دون مواربة، فتولد في النص صراعًا لغويًا عزز البنية الجدلية فيه، وقد استخرج الشاعر هذه الألفاظ من عدة حقول، فالطاغوت من الحقل الديني، والإفك من الحقل القرآني، والتطبيل من الحقل الشعبي السياسي.

استخدام "منجاة" و"مطامعهم" استخدم الشاعر هذين اللفظين في سياق الهجاء والاحتجاج، ليصف سلوك جماعة يسيرون خلف الطمع، لينجوا بأنفسهم، فهو يوضح كيف تُبرر النخب خنوعها بمصالح شخصية، مما يُدينهم أخلاقيًا، فخلق في النص توترًا دلاليًا مزج بين الخلاص الأخلاقي، والانحدار المصلحي، وبلاغيًا أبرز المفارقة بين من يسعى إلى النجاة، ومن غرق في بحر المطامع.

التراكيب المكثفة:

الجمل قصيرة، لكنها مشحونة بالمعنى، فهي تختزل الفكرة في أقل عدد ممكن من الكلمات، وتفتح المجال لقراءات متعددة، فهي بسيطة في تكوينها، ولكنها تحمل طبقات من المعنى، وتختزل فلسفة كاملة في التعامل بين النخب والسلطة، مما يُضفي على النص كثافة فكرية ويُجبر القارئ على التأمل مما جعلها مثالية في الخطاب الحجاجي أو الشعري.

البعد الدلالي والنقدي:

النص الشعري يتعدى مجرد الوصف، ليغوص في أعماق الدلالة الأخلاقية والسياسية، "فعلى الكاتب أن يعي خطورة عمله من الناحية الفنية، فهو ليس معزولاً عن المنجز العالمي، وتخلف نسقه لا يبرر تقصيره الفني" (البطرس، 2009) فعلى الكاتب أن يتقن صنعته، وعلى الناقد أن يتسلح بالعلم، والمعرفة، وأن يتقن أكثر من حقل معرفي، حتى لا يكون مساهمًا في إفساد الذوق، ومساعدًا على نشر الرداءة.

في هذا النص يكشف الشاعر عن أزمة خلقية تتحلى بها النخب في علاقتها بالسلطة، وذلك لكتمانهم كلمة الحق، إما خوفًا، أو حفاظًا على مراكزهم، ويمكن تفكيك هذا البعد الأخلاقي من خلال العناصر التالية:

دلالة الصمت والنطق:

نُخَبًا مَعَ الأَحْدَاثِ مَا نَطَقُوا:"

النطق هنا رمز للموقف الذي يتطلب القوة، والصراحة، والجرأة، وعدم الخوف، وهو يعبر عن الانحياز إلى الحقيقة، "والصمت" ليس حيادًا فحسب؛ بل ضعف، وركون، وتواطؤً، وانحياز سلبي، خاصة عندما يكون في لحظة تستدعي النطق والشهادة بالحق على ما يجري من أحداث، "والشاعر" هنا يُدين، ويتهجم، ويهجو النخب المحسوبة على المجتمع، والمعروفة بتأثيرها في الناس، التي اختارت الصمت في لحظة فاصلة يمكنها تغيير بعض السياسات غير السوية، مما يُحولها من رموز ثقافية مرموقة إلى أدوات خنوع.

خَلَوْا بِالصَمْتِ مَنْجَاةً:

يُقدَّم الصمت خيارا آمنًا في بعض الأحيان، عندما تكون الحقيقة غير واضحة، أو أنه نابع عن حكمة، أو أن الكلام لن يغير شيئًا؛ لكنه في هذا السياق يعد خيانة، أو ضعفًا، أو هروبًا من الواجب الذي عليهم أداؤه نحو أنفسهم، ووطنهم لمواجهة الظلم، وهذا التناقض يظهر الانفصام الأخلاقي في سلوك النخب: بين ما يجب أن يكونوا عليه، وما اختاروه فعليًا.

الطاغوت كرمز للاستبداد:

"أَطَاعَوْا إِمْرَةَ الطَاغُوتِ وَاعْتَنَقُوا:"

ليس الطاغوت مجرد حاكم ظالم، بل رمز لمفهوم شامل يتجاوز حدود السياسة، والاستبداد الفكري، فهو رمز للغطرسة، والسيطرة فهو يعطل الفكر، وينشر التضليل، ويجر الناس إلى الفساد؛ لأنه أداة فتنة تبعد الناس عن الحق بالتزيين، أو الترهيب، أو التشويه الفكري؛ والمثال على ذلك الصراعات المذهبية التي لم نكن نسمع عنها إلا في دول أخرى.

"الطاعة والاعتناق" هذان اللفظان يعبّران عن الاندماج الكامل في منظومة الظلم، ويحملان وزنًا معنويًا ضخمًا يشعر السامع بأنه يقف ضد مشروعٍ أكبر من فرد ظالم، بل شبكة من شبكة من الفساد والتظليل والاستعباد، لا مجرد الخضوع لها.

الشاعر في هذا البيت يُصور النخب من كونهم ضحايا مستضعفين إلى مساهمين نشطين في تكريس الظلم، وكأنها تحولت إلى أدوات للسلطة، لا مجرد ضحايا لها؛ لأنهم تخلو عن دورهم، وهذا لا يعتبر خيانة فقط؛ بل يعبر عن أزمة ثقافية عميقة في العلاقة بين النخب والسلطة.

والصورة هنا ليست إدانة للنخب، بل دعوة للتأمل، والتفكر في المسؤولين عن ضياع الاستقلال الفكري الذي يعد أخطر من الاستبداد نفسه.

الإفك والتطبيل كأدوات إعلامية:

"حُرُوفُهُم تَحْتَالُ تَطْبِيلاً:"

الشاعر يوظّف الفعل "تحتال" ليصف كيف أن لغة النخب لم تعد بريئة، بل باتت تستخدم لخدمة مصالح سلطوية بدهاء، وكلمة "تطبيلًا" تحيل الخطاب إلى التملق والتهليل، ما يعني أن الحروف ـ أي الكلمات أو الكتابات ـ فقدت جوهرها الحقيقي، وتحولت إلى أدوات دعائية.

وهناك ملمح ساخر ضمني، وكأن الحروف نفسها تقوم بدور المحتال، تزيّن الكلام لتغطي على الحقيقة، "فالحروف" تُصور كأدوات ماكرة، تُزيّن الباطل وتُخفي الحقيقة، و(التطبيل) هنا ليس صوتاً فقط، بل خطابًا فكريًا، يُستخدم لتضليل الجماهير، وقد صدق فيهم قول الرسول ﷺ في حديث الناس معادن **"...وتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذا الوَجْهَيْنِ الذي يَأْتي هَؤُلاءِ بوَجْهٍ، ويَأْتي هَؤُلاءِ بوَجْهٍ"** (هريرة، 3493).

"إِفْكٌ بِهِ ارْتَزَقُوا:"

هذه العبارة تحمل في طياتها بعدًا بلاغيًا، وكثافة دلالية تستحق الوقوف عندها؛ "فالإفك" مصدر يدل على الكذب البين الذي لا يمكن للطفل الصغير أن يصدقه، فهو وصف شديد اللهجة، وهو فوق الكذب الذي يمكن تصديقه، والكذب في بعض الأحيان قد يكون مصدر رزق، أي أن هؤلاء الأشخاص جعلوا الافتراء وسيلة للعيش، أو الحصول على المكانة مما يعد سقوطًا أخلاقيًا، فيُدين النخب من زاوية أخلاقية واقتصادية، هذا التحول من الفكر إلى الإفك، يُبرز انهيار القيم، وتحول النخب إلى تجار خطاب.

في الوقت الذي يُفترض أن يكونوا ضمير الأمة، فتحولوا إلى أبواق للسلطة، هذا التحول يُعبر عن أزمة ثقافية عميقة، حيث يُباع الفكر ويُشترى، وتُستبدل الرسالة بالمنفعة.

الوظيفة النقدية للنص:

"مزية المدح والذم منوطة بجودة التصنيع والحسن في التخريج " (التناص التاريخي والديني في شعر مفدى زكريا ديوان أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى أنموذجا، 2021، صفحة 96)

والشاعر لا يكتفي بالوصف، بل يُمارس تفكيكًا نقديًا لسلوك الحقل الذي يتكلم فيه، وهذه القطعة "محاكاة ساخرة يحاكي فيها المبدع نتاجات غيره على سبيل السخرية والازدراء، سواء كانت محاكاة ساخرة من نص أدبي، أو نص غير أدبي، وذلك في شتى الجوانب الحياتية، التي يعرفها المجتمع الإنساني، سياسيًا، واجتماعيًا، وثقافيًا، وأيدلوجيًا، وغيرها من جوانب الحياة البشرية" (مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، 1992م، الصفحات 132 – 133).

النص يُعيد تعريف النخبة: ليس من يملك المنبر، بل من يملك الجرأة على قول الحق، "إن الدور الاستراتيجي الذي ينبغي أن تقوم به النخبة في مجتمعها هو خلق الوعي، وتعميم المعرفة في الوسط الاجتماعي؛ لأنه لا يمكن للمجتمع أن يمارس دوره، ويقوم بواجباته، ويتجاوز عقباته، وينتصر على مشاكله إلا بالوعي، فالأفكار هي التي تصنع الأمم والشعوب؛ لهذا فإن دور النخبة يتجسد في صنع الأفكار" (فوراتي، 2010).

بهذا، يتحول الشعر إلى أداة مقاومة فكرية، تُعيد الاعتبار للصدق والالتزام الأخلاقي، الذي تتميز به النصوص الإبداعية يقول: (محمد مفتاح) (والغاية التي تحملها الرسالة الشعرية، والمتمثلة في بث الوعي وسط المجتمع الإسلامي، والأخذ بالعبر من صروف الدهر، التي أثبتت عواقب الغفلة، والتهتك بسنن الدين الإسلامي الحنيف، أملاً في تحقيق حياة إنسانية كريمة تحفظ للمسلم كرامته) (مفتاح، تحليل الخطاب الشعري استرتجية التناص، 1992م، صفحة 132 _133).

السياق الثقافي والسياسي:

أبيات علي الجمل تنطوي على السخرية، وتحقير النخبة المتخاذلة، فظهرت في هذا النص المبالغة في "التصوير والسخرية، وهذا أحد أساليب الجاحظ البيانية" ، (عباس، القاضي، و مطلق، 1978، صفحة 150) ونلاحظ سهولة في هذا النوع من السخرية، فلا يجد المتلقي أي صعوبة في الوصول إلى معاني الشاعر ومقاصده، فكل الجمل في نص الشاعر تحمل دلالة تكرارية واحدة، وهذا يتجلى من خلال البعد الواقعي للنص، الذي يسلط الضوء على ظواهر اجتماعية وسياسية معاصرة، تمثلت في صمت النخب والمثقفين، أمام الأحداث الجسيمة، وانحراف بعضهم، وانحيازه إلى الطغيان؛ حيث لا يُقرأ الشعر بوصفه تعبيرًا ذاتيًا فحسب، بل كمرآة تعكس أزمة النخب في سياق سياسي، وثقافي مضطرب، فالشاعر يوظف أدواته الفنية؛ ليطرح موقفًا نقديًا عن علاقة المثقف بالسلطة، وعن دور الكلمة في زمن التزييف.

إسقاط الأبيات على واقع النخب العربية:

لدراسة النخبة أهمية كبيرة في إطار موضوعات علم الاجتماع السياسي ذلك لأهمية ما تملكه النخبة من أدوات مؤثرة في تكوين واستقرار المجتمعات، وتشكيل نسق الحكم، والفكر، والتوجه المذهبي، وتغيير السلوكيات والقيم ...

قال الحطيئة في بني أَنْفِ الناقة: (إقبال، 1906، صفحة 74)

قَوْمٌ هُمُ الأَنْفُ والأَذْنابُ غَيْرُهُمُ ومَنْ يُسَوِّي بأَنْفِ الناقةِ الذَّنَبا

هذا البيت كان دعاية إعلامية لرفع مكانة هذه القبيلة العربية، ومحو سبهم ومذلتهم بين العرب، وسبب تسميتهم؛ أن بني حنظلة (السيوطي، صفحة 97/2) بن قُريع بن عوف بن كعب يقال لهم: بنو أنف الناقة، وكانوا يسبون بهذا الاسم في الجاهلية؛ لأنَّ أباهم نحَر جَزورًا وقسّم اللحم، فجاء حنظلة، وقد فرغ اللحم وبقِيَ الرأس، وكان صبيًّا، فجعل يجره؛ فقيل له:

ما هذا؟ فقال: أنف الناقة. فلُقِّب به، وكانوا يغضبون منه، غير أنَّ الأمر أصبح مفخرةً لهم بعد قول الحطيئة هذا البيت. (الأزدي ا.، 1981 م 1401 هـ، صفحة ص58).

وفي مقابل ذلك كان بنو نُمير من وجهاء العرب، الذين أعجبتهم قوتهم وعددهم عن طلب الحماية والحلف، فكانوا مفتخرين بهذا باسمهم فيرفعون به أصواتهم في المجامع إذا سئلوا، إلى أن هجاهم جريرٌ بقصيدته التي قال فيها مخاطباً أحدهم (البستاني، 1986 م).

فغضَّ الطرفَ إنك من نميرٍ * * * فلا كعباً بلغتَ ولا كِلابا
ولو وُضِعتْ شيوخُ بني نمير * * * على الميزان ما عدلَتْ ذُبابا

فسقطوا، وخنسوا، ولم يستطع أحدهم أن يرفع رأساً، حتى إنهم تركوا الانتساب إلى هذا الاسم، فإن قيل للواحد منهم من أنت؟ قال: عامريّ (الأزدي ا.، صفحة 1 /11).

ويقول أبو تمام في قصيدته المشهورة في فتح عمورية التي أولها: (تمام، صفحة 1 / 45).

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

وهكذا، فإن دراسة النخبة تعني إلقاء الضوء على مكون أساسي في صنع الواقع السياسي، والثقافي، والديني في المجتمع، والنخبة هي مجموعة قليلة من الأشخاص الذين توافرت لديهم شروط موضوعية "الثروة والقدرة" وأخرى ذاتية "المواهب" بالشكل الذي يجعلها متميزة عن باقي أفراد المجتمع (الشيمي، 2015).

يرى **فيلفريدو باريتو**: "أن المجتمع يتكون من "نخبة حاكمة" و"جماهير محكومة"، وأن التداول بين النخب عملية حتمية تُسمّى بـ"دوران النخب"، حيث تحل نخبة جديدة مكان القديمة عندما تفقد هذه الأخيرة فعاليتها أو شرعيته"ا (فيلفريدو، 1990).

كثير من الكتاب والمثقفين في العالم العربي فضلوا الحياد، وبعضهم استعمل لغة الغموض في المواقف الحرجة، حفاظًا على مصالحهم.

الأبيات تتحدث عن واقع نشاهده في كثير من المجتمعات العربية؛ حيث تتفق النخب الثقافية والإعلامية مع الأنظمة الاستبدادية؛ لكي تعزز من سيطرتها على المجتمعات، فيكون الصمت عن القضايا المصيرية، وتبرير الظلم، والترويج للسلطة، وهذه الممارسات كلها تُشير إلى انهيار الدور التنويري للنخبة، "دراسة النخبة تكشف عن طبيعة العلاقة بين القيادة والجماهير، وتوضح كيف يتم إنتاج السلطة وكيف يمكن كسر هذه الحلقة عند كل تغيير سياسي واجتماعي، كما أن تحليل النخب يساعد في تفسير مسارات الاستقرار أو التحول، وفهم آليات صناعة القرار، وصياغة السياسات العامة" (الشريف، 2006، صفحة 112).

والشاعر لا يُحدد دولًا أو أسماء، مما يجعل النص يحمل طابعًا عامًا شاملاً؛ لكي يكون صالحًا للتطبيق على أكثر من سياق.

الشعر أداة مقاومة:

الشاعر لسان قبيلته يدافع عنها، ويرد على خصومها، ويخلد أمجادها، ويقوي نفوذها، ويلهب الحماسة لدى أفرادها؛ لأنه يحول الكلمة إلى شرارة تدفع نحو التغيير، ويمنح صوتًا لمن لا صوت له، ويوحد الناس حول فكرة أو قضية تهمهم،

ويغير نظرتهم للواقع، فهو ليس ترفًا، أو مضيعة للوقت، أو الترفيه؛ بل أداة مقاومة ورؤية نحو واقع مشرق يسوده العدل والمساواة.

في مقابل تخاذل النخب، نجد الشاعر يُقدّم نفسه مثالاً للمثقف المقاوم يحتذى به، فهو يستخدم الشعر لكشف الزيف والتضليل، فالشعر بالنسبة له ليس ترفًا جماليًا، بل هو صرخة احتجاج، ووسيلة لفهم الخطاب الرسمي، وتفكيك ألفاظه لفهم معانيه، وهذا يعيد للشعر وظيفته التاريخية."ديوان العرب"، ومساحة للصدق في زمن التزييف، "إن الهدف من قول الحق، في مجتمع جماهيري تدار شؤونه كما في مجتمعنا، هو في المقام الرئيسي لاختطاط أوضاع أفضل، تتوافق على نحو أدق، مع مجموعة من المبادئ الأخلاقية" (سعيد، غصن، و أنيس، 1993، صفحة 103 _ 104).

أزمة المثقف في ظل السلطة:

الأبيات تُبرز أزمة المثقف الذي يُفترض أن يكون ضمير الأمة، فإذا به يتحول إلى بوق للسلطة، هذه الأزمة ليست فقط سياسية، بل أخلاقية وفكرية؛ حيث يُباع الموقف مقابل الغنائم، الشاعر يُدين هذا الانحراف، ويُطالب باستعادة دور المثقف الحقيقي: منارة للوعي، لا أداة للتزييف.

دور الإعلام في صناعة الزيف:

التطبيل "و"الإفك "

الإعلام يجب أن يكون أداةً تنقل الحقيقة ومساءلة السلطة، غير أنّه في وقتنا الحاضر تحوّل إلى وسيلة لصناعة الكذب، والزيف عبر التطبيل والإفك.

تسعى هذه الدراسة إلى توضيح هذين المفهومين من منظور نقدي، لإبراز أثرهما في تشكيل وعي الجماهير؛ لكي يخدم مصالح السلطة، ويوجه تفكيرهم لخدمة مصالحهم.

"إن قول الحق في وجه السلطة، ليس مثالية مفرطة في التفاؤل، إنه تأمل دقيق في الخيارات المتاحة واختيار البديل الصالح، ومن تم تمثيله بذكاء أينما يمكن إعطاء النتيجة الفضلى وإحداث التغيير الصائب" (سعيد، غصن، و أنيس، 1993، صفحة 105 _ 106).

فالتطبيل والإفك في القصيدة يُشيران إلى دور الإعلام في تجميل القبح وتزييف الواقع، وإخفاء الحقائق، وتلميع النخب الإعلامية التي تُستخدم لتبرير القمع، وتقديمه كإنجاز، مما يُحول الكلمة من وسيلة تنوير إلى أداة تضليل، والشاعر يُحذر من هذا الانحدار، ويُطالب بإعادة الاعتبار للكلمة الصادقة، ويرى بعض الباحثين أن هذا النمط الخطابي يساهم في تأصيل ثقافة الاستبداد، عبر تغيير الواقع وتهميش النقد الحر، جاء في كتاب العقل السياسي: "إن كتابة تاريخ العقل السياسي في الحضارة العربية الإسلامية، يتطلب عقلاً كتب تاريخه أولاً، أو على الأقل عقلاً يعي أن من الضروري البدء بنقد السلاح قبل الشروع في استخدام سلاح النقد"، (الجابري، 2000م، صفحة 364) الذي يقوم على الحجة والبرهان، الذي يعزز الموقف الأخلاقي للشاعر، وقد لجأ لعدة وسائل لتعزيز موقفه متمثلة في الآتي:

أولًا: البنية الأسلوبية والبلاغية:

يتسم النص بأسلوب خبري ظاهري؛ لكنه يحمل في طياته إنشاءً ضمنيًا يُعبّر عن التوبيخ والاتهام، فعبارات مثل "خَلَوْا بِالصَمْتِ مَنْجَاةً "و"مَا نَطَقُوا "تُدين النخب التي اختارت الصمت في لحظة تستدعي الشهادة، وتُظهر كيف تحوّل الحياد إلى خيانة.

لا يوجد استفهام، أو نداء في النص، مما يدعم نبرة الاتهام المباشر، دون تلطيف، أو محاولة استمالة، أو استعطاف، وكذلك تكرار البنية النحوية التي تضفي على النص إيقاعًا خطابيًا مثل قوله: "نطقوا صدقو أطاعوا اعتنقوا".

الصور البلاغية في النص تتنوع بين الاستعارة، والكناية، والتضاد، دون إطناب مما يمنح الأبيات كثافة دلالية، فالحروف التي "تحتال تطبيلًا "تُصور الخطاب الإعلامي للنخب كأداة ماكرة تُزيّن الباطل، بينما "الإفك الذي به ارتزقوا "يُدينهم من زاوية أخلاقية واقتصادية؛ حيث يتحول الكذب إلى مصدر رزق.

الإيقاع الشعري، من خلال الوزن والقافية الموحدة، يُضفي على النص نغمة صارمة تتناسب مع الموقف الحاد.

تكرار حرف القاف في القوافي يُعزز من نبرة الاتهام، ويُضفي على النص طابعًا تاريخيا يوحي بأن الخيانة قد وقعت بالفعل.

ثانيًا: البعد الدلالي والنقدي:

النطق في النص يُرمز إلى الجرأة والانحياز إلى الحقيقة، بينما يُقدَّم الصمت كخيار آمن؛ لكنه في السياق يُفضح كخيانة، هذا التناقض يُبرز الانفصام الأخلاقي في سلوك النخب، ويُعيد تعريف الصمت بوصفه تواطؤًا لا حيادًا؛ الطاغوت، الذي أطاعوه واعتنقوه، يُمثّل الاستبداد السياسي والفكري، ويُظهر كيف اندمجت النخب في منظومة الظلم، لا مجرد خضوع لها.

أما الإفك والتطبيل، فهما أدوات إعلامية تُستخدم لتزييف الوعي، وتحويل الكلمة من وسيلة تنوير إلى أداة تضليل.

النخب، التي يُفترض أن تكون ضمير الأمة، تتحول في النص إلى مرتزقة، يبيعون الفكر ويشترون الغنائم، هذا التحول يُعبّر عن أزمة ثقافية عميقة، ويُدينهم من زاوية أخلاقية وفكرية.

وفي آخر المطاف نرى الشاعر أقام مقارنة بين الحق والزيف، والضمير والمصلحة، واللغة باعتبارها أداة مقاومة، أو أداة خيانة.

ثالثًا: السياق الثقافي والسياسي:

النص يحاكي واقعًا مألوفًا في أكثر المجتمعات العربية؛ حيث تتواطأ النخب الإعلامية والثقافية مع النظام الاستبدادي، فالصمت عن القضايا المصيرية، وتبرير الظلم، والترويج للسلطة، كلها ممارسات تُشير إلى انهيار الدور التنويري للنخبة.

في مقابل ذلك، يُقدّم الشاعر نفسه كأنموذج للمثقف المقاوم، الذي يستخدم الشعر لكشف الزيف.

الشعر هنا ليس ترفًا جماليًا، بل صرخة احتجاج، ووسيلة لتفكيك الخطاب الرسمي، مما يعيد له وظيفته التاريخية كمساحة للصدق في زمن التزييف.

يمكن مقارنة هذا النص بأشعار أحمد مطر ومحمود درويش، اللذين مزجا بين الجمال والالتزام السياسي، مما يُظهر أن الشاعر ينتمي إلى تيار شعري نقدي ملتزم، يُوظف الفن لخدمة الحقيقة.

النص يُبرز أزمة المثقف الذي يُفترض أن يكون منارة للوعي، فإذا به يتحول إلى بوق للسلطة، هذه الأزمة ليست فقط سياسية، بل أخلاقية وفكرية؛ حيث يُباع الموقف مقابل الغنائم، ويُستخدم الإعلام لتجميل القبح وتضليل الجماهير.

خاتمة:

هذه الأبيات تمثل أنموذجًا لدور المقاومة الفكرية؛ حيث وظف الشاعر أدواته اللغوية والبلاغية لكشف خداع النخبة المتعلمة التي تواطأت مع الباطل، وأعاد الاعتبار للكلمة التي تكون لنصرة الحق، فهو يرى أن الصمت في زمن الطغيان ليس فضيلة بل خيانة وضعف ومهانة، وأن البلاغة لا تنجي صاحبها إن كان في خدمة الباطل.

في هذه الأبيات، لا يكتفي الشاعر بوصف الواقع، بل يُمارس تفكيكًا نقديًا لسلوك النخب، ويُعيد تعريف المثقف الحقيقي بوصفه من يملك الجرأة على قول الحق، الشعر هنا يتحول إلى أداة مقاومة فكرية، تُدين الزيف، وتُطالب باستعادة الكلمة الصادقة، إنه نص يُذكّرنا بأن الصمت في حضرة الظلم ليس حيادًا، بل خيانة، وأن النخبة التي ترتزق من الإفك لا تستحق أن تُسمى نخبة.

النتائج:

1. إدانة **صمت النخب**: صمت النخب عند المحن والمواقف الحاسمة لا يعد حيادًا بل خنوع وخوف حتى وإن بدا (منجاة)؛ لأنه تخل عن المسؤولية المناطة بهم.
2. المحرك **للمواقف الطمع**: النص أظهر بعض النخب تبيع ضميرها وتخضع نفسها للطغاة مقابل بعض الغنائم، مما جعلها تفقد شرعيتها في المواقف.
3. الكلمة **أداة تضليل**: أدان الشاعر في هذه الأبيات من يستخدم البلاغة وتزيين اللغة لتبرير الباطل، وكيف يكون أداة للرزق حين يسخر للتطبيل.
4. الازدواجية **في خطاب النخب**: هنا يظهر الشاعر المفارقة بين ظاهر الخطاب الذي يتسم بالعقل والحكمة والبناء الفني الرصين، وبين باطنه الذي يمجد الطغيان ويسفه الجماهير ويظللها.
5. **القصيدة في مجملها صرخة مقاومة**: الشاعر لا يكتفي بالنقد المجرد، بل يعيد تعريف وظيفة الكلمة التي تعتبر أداة للحق، فهو يقدم نفسه بديل أخلاقي وشاهد على هؤلاء النخب يعري زيفهم ويعيد الاعتبار للضمير.

المصادر والمراجع

الكتب

1. الجابري، م. ع. (2000). (العقل *السياسي العربي: محدداته وتجلياته*) الطبعة الرابعة). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
2. الجاحظ. (2005). (*البيان والتبيين*) الطبعة الثالثة. بيروت: دار الكتب العلمية.
3. الأنباري، م. ب. القاسم. (2006). (الأضداد)الطبعة الأولى). بيروت: المكتبة العصرية.

4. البطرس، ع. ع. (2009). (الانفتاح *الدلالي للنص: مقاربات في الرواية والقصة القصيرة*)الطبعة الأولى. دمشق: دار الينابيع.

5. ابن فارس. (2002). (*مقاييس اللغة* .دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

6. ابن منظور. (2003). (*لسان العرب*، مادة "ضدد ."القاهرة: دار الحديث.

7. القزويني. (1993). (*الإيضاح في علوم البلاغة*)الطبعة الثالثة. بيروت: دار الجيل.

8. سعيد، أ. أ. (1993). (*صورة المثقف*) غ. غصن، مترجم؛ م. أنيس، مراجعة). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

9. سعيد، ع. أ. (1986). (*زمن الشعر*)الطبعة الخامسة. بيروت: دار الفكر.

10. مفتاح، م. (1992). (*تحليل الخطاب الشعري*)الطبعة الثالثة. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

11. محمد، ج. 2007. (*مصطلحات الدلالة العربية في ضوء علم اللغة الحديث*)الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية.

12. مطلق، أ.، عباس، إ.، القاضي، و. (1976). (*دراسات في الأدب الأندلسي* .طرابلس: الدار العربية للكتاب.

13. نبيل الشيمي، م. (1990). (*العقل والمجتمع*)مجموعة باحثين، مترجمون). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

المقالات

1. كحولي، م. ن. (د.ت). نحو بلاغة للتضليل .*مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية*.

2. كندي، ف. (2017، يوليو 10). التأثير والتضليل الكلامي. شبكة الألوكة.

3. الشريف، ع. (2006). النخبة السياسية في الوطن العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

الأطروحات

1. خفي، ع. م. (د.ت). (*التضليل في اللغة: دراسة في بنية خطاب الإعلام العربي* "أطروحة دكتوراه

المجلات والدوريات

1. "التداخل بين أسلوبي الخبر والإنشاء في ديوان ابن الفارض2022) "، نيسان. (*مجلة اللغة العربية وآدابها*، (27).

2. *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية* 2017) .، مارس. (28)

المواقع الإلكترونية

1. بوابة الشعراء. (د.ت). للاطلاع على الشاعر وقصائده. استرجع من http://www.poetsgate.com :

2. الحوار الأدبي مع الشاعرة ليلاس زرزور. (د.ت .)*آفاق حرة* .استرجع من :
http://www.aafaqhorra.com

3. صحيح البخاري، رقم الحديث: 3493؛ التخريج: أخرجه مسلم (2526). (د.ت). استرجع من :
https://sunnah.com